

## الباب الأول الاستعداد للقداس الالهى

"مامن أحد مستحقّ للإله العظيم، الضحية ورئيس الكهنة في الوقت عينه، طالما انه لم يقدم نفسه أولاً ذبيحة إلى الله حياة مقدسة"  
القدّيس غريغوريوس اللاهوتي

### ١ — ترتيب أخذ الكيرون

يجب على الكاهن العازم ان يخدم الأسرار الالهية، أن يكون قبل الخدمة، متسالماً مع الجميع، طاهراً نفساً وجسداً، لا يضمّر لأحد سوءاً، بعيداً عن الأفكار الشريرة، ومواظباً في ليلة الخدمة على الامساك وغير متوانٍ عن الموعد المضروب للخدمة.

#### استعداد الكاهن

الكاهن هو خادم سرّ خلاص الانسان. وبخدمته هذه، يفصل الانسان عن عالم الخطيئة ويتّجه نحو الله. وهدف الخدمة الكهنوتية هو "أن يعطي النفس أجنحة، أن ينتشلها من العالم، ويهبها الله... وأن يجعل المسيح، بنعمة الروح القدس، مقيماً في قلوب المؤمنين... وان يؤلّه الانسان".  
الانسان، بمعونة كاهن الله، يرتفع إلى "الغبطة العلوية". والخدمة الكهنوتية هي تجسيد للرسالة النبوية: "يا إخوة. اقتربوا من الجبال الأبدية".<sup>١</sup>

بخدمته، يُظهر الكاهن للعالم الحياة الجديدة التي منحنا إيّاها المسيح، أي حياته هو. ولما كان القداس الالهى السرّ الذي به تُعطى حياة المسيح للمؤمنين، فهو في الوقت عينه محور الخدمة الكهنوتية.  
الخطوة الأولى التي تفقد الكاهن إلى المذبح المقدس هي المحبة وعدم الاساءة لأحد. هذا ما يطلبه المسيح منه: "فإن قدّمت قربانك إلى المذبح، وهناك تذكرت أن لأخيك شيئاً عليك، فاترك هناك قربانك قدّام المذبح واذهب أولاً اصطالح مع أخيك. وبعدها تعال وقدم قربانك". ويندهش الذهبيّ الفم من محبة المسيح فيقول: "يا لهذا الصلاح! يا لهذه المحبة الفائقة الوصف تجاه البشر! تلك المحبة التي تتجاهل ذاتها في سبيل محبة القريب". هذا ما يقوله لنا المسيح: أمّا عبادتي فلنتوقّف لبعض الوقت حتى تصان المحبة بينكم، "وأن تتصالح مع أخيك لهو بالحقيقة أمر يساوي تقدمة قربان إلى الله". وتبعاً للذهبيّ الفم، فانه يريد أن يعتبرها ذبيحة تفوق كل ذبيحة أخرى. فإذا انعدمت المحبة، فالذبيحة نفسها مرفوضة... لأن المائدة الشكرية لا تقبل الذين يبغضون بعضهم بعضاً".<sup>٢</sup>

في كتاب "الليموناريون" ترد الحادثة التالية: "في جزيرة قبرص مدينة تدعى أماتوس حيث صار أسقفاً الكليّ الشرف يوحنا. ويعجز المرء عن وصف أعمال هذا الرجل الالهية لا سيّما محبته العظيمة التي كان يكنّها للقريب، وتغافله عن إساءة الآخرين إليه. وكان لديه شماس هو ناظر للأسقفية. هذا الأخير، كان يتحدّث مع الأسقف، فتمادى في الحديث وصار يشتمه وجهاً لوجه. حدث ذلك في أحد الأعياد، في الوقت الذي كان يجب ان يقيم الخدمة الالهية. فلما حان وقت التقبيل حتّى يأخذوا الكيرون ويلبسوا الحلل الكهنوتية، خجل الشماس لما تفوّه به تجاه أسقفه ولم يشأ أن يشترك في الخدمة. فعمد الأسقف في ذلك الحين، كراع صالح، إلى طلب الخروف الضالّ قاتلاً: "لن يقام اليوم القداس إذا لم يحضر إلى هنا الشماس أيفانوس". فلما حضر الشماس، قبله ذلك الراعي الصالح وصنع له مطانية كما لو كان هو المخطيء. وإذ انتهوا من لبس الحلل الكهنوتية، أمر أن تُعطى له "المروحة" حتّى يشترك معه في الخدمة الالهية. وبعد الانتهاء من الخدمة دعاه إلى مائدة الطعام، ومن بعد تناول الغداء قدّم إليه استيخارة من الحرير وصرفه بسلام. أمّا أقرباء الأسقف فامتعضوا، قائلين له: "إن كنت لا تفرض هيبتك على الوقحين، فسيحتقرك الجميع". فوبّخهم رجل الله بصرامة

مخاطباً إياهم بنبرة سيديّة قانلاً: "أنتم لا تدركون ما تقولون، ولا تعرفون أنّ الربّ إذا شتمّ لم يكن يشتم... صدقوني يا أبنائي أنّي اعتدت الابتهاال إلى الله من أجل حقارتي ومن أجلكم، وذلك عندما أعزم على تقديم الذبيحة غير الدمويّة، وقبل البدء بترتيب خدمة الذبيحة. أمّا اليوم، في الوقت الذي شرعت فيه تلاوة الصلاة، مبتهلاً بدموع سائلاً الربّ أن يرحم الشّمّاس ويغفر له، عابنت نعمة الله مستنيرة فوق المذبح. فإذا رغبتم، أنتم أيضاً، أن تؤهّلوا لمثل هذه المشاهدة، قدّموا ذبائحكم إلى الله بصدق دون أن تذكروا إساءة الآخرين إليكم، لأنّه ما من طريق أقصر من هذه تؤدّي إلى الله"<sup>iii</sup>.

#### ثابت قلبي يا الله

على الكاهن، قبل تقديم الذبيحة الشكريّة، أن يقدم نفسه ذبيحة: "ما من أحد مستحقّ للاله العظيم، الذبيحة ورئيس الكهنة في الوقت عينه، طالما لم يقدم نفسه أولاً ذبيحة إلى الله حيّة مقدّسة"<sup>iv</sup>. هذه الذبيحة الذاتيّة تطهّر الكاهن كلّهُ، نفساً وجسداً. والله يرتضي الذبيحة التي تقدّمها إليه أياد طاهرة ونقيّة و"دهن سام وغير معيب في شيء"<sup>v</sup>.

والكاهن الذي يقترب من الأسرار الطاهرة ولم يسبق له أن قدّم نفسه ذبيحة، لا يقترب من النور الحقيقي، بل من نار محرقة: "أنت يا من جعلت أهلاً لنعمة الكهنوت الإلهيّة الشريفة، كما يقول البار ثيوغنستوس، يجدر بك قبل كلّ شيء، ان تقدّم ذاتك ذبيحة بموت الأهواء، عندها تجرؤ على الاقتراب من الذبيحة الرهيبة الحاملة الحياة، إذا كنت لا ترغب أن تحرقك النار الإلهيّة كمادة سريعة الاحتراق". إذاً، نحن نقدّم ذواتنا ذبيحة بموت الأهواء، أي بالتوبة. وطريق الذبيحة هو طريق التوبة، لذلك ينصح البار ثيوغنستوس الكاهن: "عندما تصير أكثر بياضاً من الثلج، ساكباً مجاري الدموع، عندها تقدّم من القدسات كقدّيس، بضمير قد ابيضّ بالتطهّر"<sup>vi</sup>، "لأنّ الذين يكهنون لله الكليّ القداسة، يجدر بهم أن يكونوا قدّيسين"<sup>vii</sup>.

وفي المساء الذي يسبق القدّاس الإلهي، يقف الكاهن وحده، وجهاً لوجه أمام الله، ينقي قلبه من كلّ المشاعر التي تبرّد المحبّة، يصوم عن الأفكار الشريرة وعن الأطعمة، يسهر، وفي الصباح، في الكنيسة يبادر إلى طلب القوّة السماوية حتّى يستطيع الاقتراب من المذبح المقدّس ويقول للربّ: "ثابت قلبي يا الله. انشد وأرتم، كذلك مجدي"<sup>viii</sup>.

ثمّ حين وقت أخذ الكيرون، يخرج الكاهن والشّمّاس ويقدمان المطانيّة أمام كرسي رئيس الكهنة. بعد ذلك يقفان أمام الباب الملوكي ويسجدان ثلاث مرّات قائلين: يا الله اغفر لي أنا الخاطيء وارحمي.  
ثمّ يقول الشّمّاس: بارك، يا سيّد.

والكاهن يقول: تبارك الله إلهنا كلّ حين، الآن وكلّ أوان وإلى دهر الدهرين.  
الشّمّاس: آمين.

الكاهن: المجد لك أيّها المسيح إلهنا، المجد لك. أيّها الملك السّماوي... الخ  
الشّمّاس: قدّوس الله، وما يليها.  
الكاهن: لأنّ لك الملك...  
الشّمّاس: آمين.

#### نصنع يوماً جديداً خلاصياً

وبعد ان يتهيأ الكاهن روحياً وجسدياً، ينتظر حلول وقت إقامة القدّاس الإلهي، وعندما يحين الوقت، يأخذ "الكيرون" مع الشّمّاس.  
ما هو الكيرون؟

"الكبرون" هو خدمة مقتضبة تقام أمام الباب الملوكي<sup>ix</sup>. هذه الخدمة هي فاتحة تبشيرية بالقديس الإلهي، ترمز إلى "زمن حضور المسيح إلينا" وتذكرنا بأنه قد كمل الزمان واقترب ملكوت الله<sup>x</sup>. هكذا تهيئنا لاستقبال ملكوت المسيح، لاشتراكنا في عشاء ملكوته.

في لحظة محددة من التاريخ، وفقاً لمشورة الله الأزلية، "يأتي الأزلي ويتجسد الكلمة". الإله الأزلي يصير صبياً جديداً. القديم الأيام يأتي إلى العالم ويجدد كل شيء. حياة جديدة، ملكوت جديد، زمن جديد: لِمَا حَانَ أَوَانِ حُضُورِكَ إِلَى الْأَرْضِ... جَدَّدْتَ طَبِيعَةَ مَمْلَكَةِ أَرْزَلِيَّةِ<sup>xii</sup>.

وَحَدَّثْتَ تَجَسُّدَ الْكَلِمَةِ يَسْطُرَ زَمَاناً جَدِيداً. الْمُتَعَالِي عَلَى الزَّمَنِ يَتَّسِحُّ بِالزَّمَنِ كَثُوباً، وَالزَّمَنِ يَسْتَضِيفُ الْمَنْزَهَ عَنِ الزَّمَنِ. وَالِدَةُ الْإِلَهِ تَصِيرُ الْمَكَانَ حَيْثُ تَتَجَدَّدُ الطَّبِيعَةُ وَالزَّمَنِ أَيْضاً. وَنَحْنُ، فِي هَذَا الزَّمَنِ الَّذِي جَرَى تَجْدِيدُهُ، نَعِيشُ الْحَدِيثَ الْجَدِيدَ — ظَفَرَ الْمَحَبَّةِ عَلَى الزَّمَنِ وَالْمَوْتِ: "إِنَّا مَعْبُدُونَ لِإِمَاتَةِ الْمَوْتِ وَلِبَاكُورَةِ عَيْشَةٍ أُخْرَى أَبَدِيَّةٍ، مُتَهَلِّلِينَ وَمَسْبُحِينَ مِنْ هُوَ عِلَّةُ هَذِهِ الْخَيْرَاتِ"<sup>xiii</sup>.

بعد قيامة المسيح، سادت الحياة على الموت، ودخلت الابدية إلى الزمن. ظفر المسيح هذا، هو ما نعيده له في القديس الإلهي، لأن القديس الإلهي هو فصيح مستمر: "هو فصيح دائم". لذلك فإن يوم السرّ الشكري هو بامتياز يوم قيامة الرب، يوم الأحد. انه اليوم الثامن الذي يرمز إلى تجاوز الزمن، لأنه هو اليوم الأول للخلقة، وفي الوقت نفسه اليوم الثامن للملكوت. انه اليوم الذي لا يعرّوه مساءً، ولا يعقبه يوم آخر، ولا نهاية له<sup>xiiii</sup>. انه اليوم "الذي لا بدء ولا نهاية له. وهذا لا يعني أنه لم يكن موجوداً انما سيأتي إلى الوجود بعد حين، بل هو كائن قبل الأزمنة، وهو الآن، وسيكون إلى الأبد"<sup>xiv</sup>.

حول مائدة الحياة تصنع يوماً جديداً خلاصياً<sup>xv</sup>. يوم القديس الإلهي هو اليوم الثامن، يوم الدهر الآتي الذي صار كلّه يوماً واحداً، ويأتي عندما "يتوقف سيل جريان هذا الزمن العابر"<sup>xvi</sup>. يوم القديس الإلهي هو يوم الملكوت الذي يأتي وهو الآن<sup>xvii</sup>؛ لأننا في القديس الإلهي نعيش ما مضى، ونشكر على الآتي التي منحنا إيّاها الله: "نشكرك لأنك... وهبتنا ملكك الآتي".

ويكتب القديس مكسيموس، أنه، كما ان الأنبياء سبقوا حضور المسيح بالجسد، وهدّوا كثيرين من الناس إليه، هكذا فإن المسيح بتجسده صار "سابقاً لحضوره الروحي ويريّ النفوس بأقواله، وذلك كي تتقبّل حضوره الإلهي العلني. وهذا الأمر يتحقّق على الدوام عندما يحول المستحقين، بالفضائل، من جسديين إلى روحانيين من جهة، ومن جهة أخرى سيتحقّق في نهاية الدهر عندما سيكشف جلياً كل ما كان محجوباً قبلاً عن الجميع"<sup>xviii</sup>.

في القديس الإلهي "الكائن" و"الذي كان" يكشف لنا "الذي يأتي"، لأن القديس الإلهي هو إمكانية عيش السرّ الذي لا يعبر عنه، سرّ اتحاد الكائنات بالله، السرّ الذي سيتحقّق في ملئه في الدهر الآتي<sup>xix</sup>.

القديس الإلهي هو التمام: كل أبناء الله يلتئمون حوله، هناك حيث يشتركون في عمل واحد، السماء والأرض، الماضي والمستقبل. كل شيء يلتئم حوله، وإذ يقبل الجميع النور الحقيقي يمتدّون ليس فقط إلى أقاصي المسكونة، بل إلى مدى الدهور أيضاً<sup>xx</sup>.

ثم نقال هذه الطروباريات بخشوع.  
الكاهن: إرحمنا يا ربّ أرحمنا، لأننا فاقدون كلّ جواب، لهذا نقدّم لك هذا التضرع نحن الخطأة أيها السيّد  
فارحمنا.  
الشمّاس: المجد... إرحمنا يا ربّ لأننا عليك اتكلنا، فلا تسخط علينا جدّاً ولا تذكر آثامنا. لكن اطّلع الآن  
بما أنك متحنّ، وخلصنا من أعدائنا لأنك أنت إلهنا، ونحن شعبك وكلّنا صنع يديك، وباسمك ندعو.  
الكاهن: الآن... افتحي لنا باب التحنّ يا والدة الإله المباركة، لأننا باتكالنا عليك لا نخيب وبك ننجو من  
الشدائد لأنك أنت خلاص لكلّ المسيحيين.  
مع تلاوة هذه الطروبارية يُجرى فتح الباب الملوكي.

والدة الإله: البوابة الناظرة إلى الشرق.

البوابة التي ولجها المسيح ليأتي إلى العالم، كانت محبّته للعالم. إلى هذه المحبّة الإلهية يتوجّه القديس  
سمعان اللاهوتي الحديث كي تصير لنا البوابة المفتوحة التي تحمل المسيح إلينا: "يا لهذه المحبّة الإلهية، أين  
تحوين المسيح؟ أين تحببينه؟ افتحي لنا أنت، إذ غدوت بابه لاستعلانه بالجسد، أنت التي اقتحمت أحشاء رافة  
سيّدنا لكي يحمل خطايانا وأمراضنا أقيمي فينا كي ترفع حقارتنا. بفضلك أنت، تحصل حقارتنا أيضاً على  
افتقاد السيّد<sup>xxi</sup>."

وبوابة المحبّة هذه، التي عبرها المسيح ليأتي إلى العالم، تشرّعها لنا والدة الإله. وبالأحرى، فإنه - اعني  
والدة الإله - هي نفسها، بمحبّتها الودية، البوابة التي يلجها المسيح. بخدمتها سرّ التدبير السيدي، أصبحت  
الغذراء الباب الذي ينظر إلى الشرق: الباب الذي منه أشرقت للبشر الحياة وغلبت الموت: "الباب الناظر إلى  
الشرق، الذي منه تشرق الحياة للبشر، ويشرف غروب الموت على نهايته<sup>xxii</sup>". وفي يوم مولدها، تطرب  
الكنيسة معبّدة لولادة الباب الناظر إلى الشرق، والمنتظر دخول الكاهن العظيم، والمعبر الواحد والوحيد الذي  
به يحضر المسيح إلى المسكونة في من أجل خلاص نفوسنا<sup>xxiii</sup>.

الفائقة البركات هي الباب الوحيد الذي منه يشرق النور، نور الرحمة الإلهية. بها حصل الإنسان على  
رحمة السيّد الضابط الكل: "بك رحمت طبيعة البشر... آيتها الكلية الطهارة، الوادّة التحنّ<sup>xxiv</sup>". لذلك، قبل  
شروعنا بالقديس الإلهي، نسأل الكلية القداسة أن تفتح لنا باب محبّتها الودية كي يدخل المسيح إلينا وندخل  
نحن إليه.

<sup>i</sup> — غريغوريوس اللاهوتي: EPE 1, 102 ; EPE 1, 276 ; ميخا ٢، ٩ (الترجمة السبعينية).

<sup>ii</sup> — متى ٥، ٢٣-٢٤؛ EPE 9, 566-568.

<sup>iii</sup> — كتاب "الليموناريون": ص ٦٥-٦٦؛ ١ بط ٢، ٢٣؛ متى ٥، ٣٩.

<sup>iv</sup> — غريغوريوس اللاهوتي: EPE 1, 188.

<sup>v</sup> — غريغوريوس اللاهوتي: EPE 3, 50.

<sup>vi</sup> — الفيلوكاليا، الجزء الثاني، ص ٢٥٧-٢٥٨.

<sup>vii</sup> — كيرلس الاسكندري: P.G. 68, 492A.

<sup>viii</sup> — مز ١٩٧، ٢.

<sup>ix</sup> — خدمة أخذ الكيرون هي خدمة محدثة. المخطوطات القديمة للقديس الإلهي تبدأ بالصلاة التالية: يا الله، يا إلهنا، الخبز السماوي... في القرن الثاني  
عشر كان الكيرون يقتصر على السجود للأيقونات المقدّسة. في القرن الرابع عشر، يرد في مؤلّف بطريرك القسطنطينية فيلوثيوس، "ترتيب القديس

- الإلهي" أن الكاهن المزمع ان يقيم القداس، أثناء السجود (للأيقونات)، يقول الصلاة التالية: يا رب أرسل يدك من أعالي مسكنك... (ترمبلاس، الليتورجيات الثلاث، أتينا ١٩٣٥، ص ١).
- <sup>x</sup> — جرمانوس بطريك الاسكندرية: P.G. 98, 401A، مر ١، ١٥.
- <sup>xi</sup> — سحر الميلاد.
- <sup>xii</sup> — أبوليتيكيون ٢ تموز؛ سحر الفصح.
- <sup>xiii</sup> — الذهبيّ الفم: EPE 23, 208؛ باسيلوس الكبير: EPE 4, 96.
- <sup>xiv</sup> — سمعان اللاهوتيّ الحديث: SC 122, 182.
- <sup>xv</sup> — راجع يوحنا الدمشقيّ: ETP 212.
- <sup>xvi</sup> — غريغوريوس النيصي: P.G.44, 504D - 505A.
- <sup>xvii</sup> — يو ٤، ٢٣.
- <sup>xviii</sup> — P.G.90, 1104C.
- <sup>xix</sup> — مكسيموس المعترف: P.G. 90, 1104C.
- <sup>xx</sup> — الذهبيّ الفم: EPE 6, 82.
- <sup>xxi</sup> — SC 96, 232.
- <sup>xxii</sup> — يوحنا الدمشقيّ: P.G. 96, 689D.
- <sup>xxiii</sup> — غروب ٨ أيلول.
- <sup>xxiv</sup> — سحر الأربعاء، اللحن الرابع.